د. عائشة عبد العزيز محمد التهامى(*)

بعض أضواء جديدة على :

العلاقات التجارية بين مصر والصين فى عصر دولـة سلاطيـن المماليـك

ترجع علاقة الصين ببلاد العرب إلى أمد بعيد - قبل الإسلام - حيث كانت التجارة بين الصين والهند من جهة وموانىء البحر المتوسط من جهة أخرى فى أيدى العرب حينذاك(١) ، كذلك كانت علاقة الصين بالمسلمين علاقة قديمة ، إذ من المعروف أن الإسلام دخل الصين عن طريق تجار سلكوا الطريق البحرى الذى كانت تسلكه السفن التجارية (٢)، ولهؤلاء التجار الفضل فى أن يشتد عود الإسلام ببلاد الصين .

وقد عرفت مصر فى المراجع الصينية باسم " هاى - سى " ، أى بلاد غرب البحر ، ووصفت بأن منها يخرج نهر يصب فى بحر عظيم (٣)، كما كانت الإسكندرية معروفة لديهم باسم " كسند " ، وكانت البضائع تصدر من مصر إلى الصين عن طريق البحر الأحمر ، كما أن مدينة كانتون الصينية كانت معروفة فى المصادر العربية باسم " خانقو " وهى من أعظم مراكز التجارة فى الهند الصينية (٤). ومما يؤكد اتصال مصر ببلاد الصين منذ القدم ، وجود

(*) مدرس بكلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادى .

بعض الزخارف القبطية ذات المسحة المصرية على الرسوم والفنون البوذية ، مما يثبت أن الفنون القبطية المصرية وصلت تلك البلاد (٥).

ولا غرو أن تتوطد الروابط السياسية والعلاقات التجارية بين كلا الدولتين بيد أن العلاقات التجارية كانت أوطد من الروابط السياسية على مر عصور مصر الإسلامية ، ولكن الوضع اختلف فيما بعد ، فى أواخر العصور الوسطى عندما توثقت عرى المحبة وأواصر الصداقة بين سلاطين دولة المماليك بمصر وأباطرة دولة المغول بالصين ، وخاصة فى عهدى كل من أسرتى مينج المغولية الصينية ، وبنى قلاوون المملوكية المصرية ، فكان أوج ازدهار البعثات الدبلوماسية والعلاقات السياسية (٦). ومما لاشك فيه أن تلك العلاقات قد ساهمت مساهمة فعالة فى انتعاش ونمو النشاط التجارى بين كل من الدولتين الصينية والمملوكية ، وارتبط ذلك بميناء عيذاب الذى كان يعد من أهم مراكز التجارة بالبحر الأحمر فى عصر دولة سلاطين المماليك ، وبخاصة فيما تتعلق بتجارة دولة الصين وأيضًا الهند واليمن (٧). وترجع أهمية هذا الميناء إلى أنه كان أكثر الموانىء أمنًا على السفن لقلة الشعب المرجانية التى كانت تنبت فى قاع البحر الأحمر حوله ، فضلاً عن عمق وغزارة مياهه . ومن ثم فقد كان هذا الطريق من أكثر الطرق التجارية أمنًا للتجار والملاحين (٨) ، علاوة على ذلك فقد كان أيضًا من أكثر الطرق التجارية أمنًا بين الشرق والغرب(٩) لانسداد معظم طرق التجارة العالمية بسبب حركة المغول التوسعية منذ القرن ٧ هـ / ١٣م ، بحيث لم يبق من الطرق الآمنة إلا الطريق المار بأراضى السلطنة المملوكية ، وهو طريق عيذاب ، قوص ، الإسكندرية أو دمياط (١٠).

وقد تدفقت أحمال توابل تجارة الشرق الأقصى من البهار والفلفل(١١) والقرفة وغيرها لتصل عبر طريق البحر الأحمر إلى ميناء عيذاب ، ثم تنقل فى القوافل البرية إلى ميناء قوص، ومن هناك تحمل فى النيل على مراكب الشحن النيلية لينتهى بها المطاف فى خزانة التوابل بالقاهرة(١٢) ، تلك التى ترد إليها " متاجر البحر الإسكندرانى والبحر الحجازى " ، وهنا تكتمل حلقة التجارة العالمية عبر البحر الأحمر النيل - البحر المتوسط (١٣).

وقد لعب الدور الرئيسى فى هذه التجارة تجار الكارم أو الكارمية (١٤) ، وهم كما عرفهم (ذكرهم) المقريزى(١٥) " فئة التجار الذين كانت بيدهم تجارة البهار الوارد إلى مصر دون غيرهم من الدول ، من الهند والشرق الأقصى " ، أى أنهم تجار التوابل وغيرها من سلع الشرق بين المحيط الهندى وبين البحر الأحمر ومصر (١٦).

وخلاصة القول فإن هذه الطائفة أو تلك الفئة كان بداية ظهورها فى مصر فى العصر الفاطمى ، وتزايدت أهميتها أيام الأيوبيين والمماليك مما أدى إلى أنهم كانوا أشهر تجار المحيط الهندى والبحر الأحمر أواخر القرنين ٧ - ٨ هـ / ١٣ - ١٤م ، وأوائل القرن ٩ هـ / ١٥م ، وقد كان هؤلاء التجار يحتكرون تقريبًا التجارة مع الهند والشرق الأقصى (١٧)، ويكفى أنهم تعلموا استعمال إبرة المغناطيس فى الملاحة البحرية من التجار الصينيين ، وعن طريقهم نقلت للعرب(١٨)، مما ساعد على زيادة الرواج التجارى . وكان لهذا أثره فى إثراء دولة سلاطين المماليك، كما قاموا بالوساطة التجارية بين الشرق والغرب مما نمى مكانتهم التجارية وأصبحوا يمثلون الرأسمالية التجارية آنذاك (١٩).

وقد اتخذ تجار الكارمية فى العصر المملوكى ، من مدينة قوص(٢٠) مركزاً لنشاطهم الواسع ،فغدت تلك المدينة المهمة فى صعيد مصر سوقًا تجاريًا واسعًا للمنتجات الصينية والهندية ، وهناك فى قوص كون تجار الكارمية نقابة خاصة بهم ، وذلك للحفاظ على كياتهم التجارى ، حيث هيمنوا أو سيطروا على تجارة التوابل والفلفل والبخور فى عصر دولة المماليك البحرية وخاصة إبان عهدى السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى والسلطان المنصور قلاوون ، وصار لهذه النقابة رئيس معترف به من قبل حكومة المماليك ، وأطلق عليه رئيس الكارمية(٢١)، ولا غرو أن نعرف أن هذه الطائفة وتلك الجماعة كانت شديدة الارتباط ببعضها البعض مدعومة برابطة المصاهرة ، وأن مصر كانت هى المركز الرئيسى لهم (٢٢).

وقد شهد إقليم قوص أكبر حركة تجارية لتجار الكارم فى عصر دولة سلاطين المماليك حيث كان سوقًا لمتاجرهم التى حفلت بمنتجات أفريقيا الوسطى والمغرب واليمن والحبشة والهند والصين(٢٣). وهكذا صار أهم مركز تجارى نهرى فى مصر ، لوقوعه عند نهاية طريق القوافل الممتد ما بين عيذاب والنيل(٢٤) (شكل ١) ويؤكد ذلك المقريزى (٢٥)، فى أن قوص لعبت دوراً كبيراً منذ العصر الفاطمى حتى العصر المملوكى عن طريق تجار الكارم فيقول: و«استمرت بضائع تجارة الكارم تُحمل من عيذاب إلى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبعمائة- أى سنة ١٣٥٨م- وتلاشى أمر قوص من حينئذ».

ومما هو جدير بالذكر أن إقليم قوص تبوأ مكانة عظيمة فى صعيد مصر منذ العصر الفاطمى حتى العصر المملوكى، حيث كان والى هذا الإقليم يعهد إليه بحكم الوجه القبلى كله، وهو يلى الوزير فى الرتبة تقريبًا ويحكم تحت نفوذه مناطق ومديريات عديدة(٢٦).

كذلك كان يقع على مسئوليته تأمين الطريق التجارى للكارمية ، وحفظ الثغور ، والاهتمام بالأسطول فى هذا الجزء الكبير من الوادى لأنه باب مكة للحجاج ، وباب التجارة مع اليمن والحجاز والشرق الأقصى . وظل ذلك ردحًا كبيراً من الزمن(٢٧)، وقد زار مدينة قبرص الكثير من الرحالة، وذكرها العديد من المؤرخين وكتب عنها الجغرافيون فأجمعوا على أنها مدينة متسعة المرافق ، كثيرة الأسواق لكثرة الصادر منها والوارد إليها من التجار من كل صوب ، وحدب، من شرق العالم الإسلامى ومغربه من أقصاه إلى أدناه .

هذا بالإضافة إلى أنها ملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والإسكندريين وإليها عودتهم ، فهى محط الرحال ومجتمع الرفاق ، فضلا عن أنها مدينة تجارية عظيمة تقع على البر الشرقى للنيل، ذات مبانى كثيرة يسكنها العلماء والتجار وذوى الأموال(٢٨).

وقد أدرك المستشرقون الفرنسيون(٢٩) فى أوائل القرن ١٣هـ / ١٩م ، وكذلك ١٤ هـ / ٢٠م مكانة هذه المدينة وأهميتها الاقتصادية والتجارية على مستوى صعيد مصر ، ودورها الحضارى على مر العصور الإسلامية وخاصة العصر المملوكى، عصر الازدهار السياسى والرواج التجارى مع مختلف أقطار العالم الإسلامى(٣٠).

وهكذا كان لموقع مدينة قوص المتميز على النيل أثره الذى جعلها تزدهر اقتصاديًا وتنتعش تجاريًا وتعمر سكانيًا ، وينشىء بها تجار الكارم الفنادق والخانات والوكالات(٣١) على نفقتهم الخاصة، لكى تتم فيها صفقات بيع التوابل والسلع الأخرى وأيضًا لمبيتهم وسكناهم (٣٢)، وقد اهتم سلاطين المماليك البحرية بهذه المنشآت التجارية لخدمة تجار الكارم، فأقاموا العديد منها على شاطىء النيل والكثير على المدن الساحلية مثل دمياط وقوص وجدة وعيذاب وعدن وزبيد (٣٣).

ويُعد عصر الناصر محمد بن قلاوون وأولاده من أهم عصور دولة سلاطين المماليك التى يتجلى فيها نشاط تجار الكارم على أرض قوص ، تلك المدينة التى لعبت دوراً تجاريًا مهمًا فى تجارة الشرق الأقصى بين الصين وبلاد العراق والشام ومصر (٣٤).

وحفاظًا على النشاط التجارى لمدينة قوص ، صدر مرسوم سلطانى يوضح ويؤكد واجب ودور والى تلك المدينة تجاه تجار الكارمية ، جاء فيه : «وأكرم مقدوم من يرد عليك من الكارم وقرر بحسن تلقيك، أنك أول ما قدمناه من المكارم فهم سماء كل نادي، ورفاق كل ملاح وحادى، ولابد أن يتحدث السمار وتتداول بينهم الأسعار ، فاجعل شكرنا دأب ألسنتهم

ومننا حلية أعناقهم، ومنحنا سببًا لاستجلاب رفاقهم ، فهم من مواد الارفاق وجواد ما يحمل من طرف الآفاق (٣٥).

ولا غرو أيضًا أن يعمل السلطان الناصر محمد بن قلاوون على تأمين الملاحة والتجارة فى شمال البحر الأحمر وجنوبه من الخطر، ويسعى فى سبيل ذلك لجذب التجار الذين يصلون إلى مصر من الصين والهند والسند واليمن والعراق وبلاد الروم ، يشهد على ذلك المنشور الرسمى الذى أذيع من قبل السلطان:

« ... ومن يؤثر الورود إلى بلادنا الفسيحة أرجاؤها ، الظليلة أفياؤها وأفناؤها ، فليعزم عزم من قدر الله له فى ذلك الخير والخيرة ، ويحضر إلى بلاد لايحتاج ساكنها إلى ميرة ولا ذخيرة ، لأنها فى الدنيا جنة لمن فطن ومسلاة لمن تغرب عن الوطن ، ونزهة لا يملها بصر والمقيم بها فى ربيع دائم وخير ملازم، ويكفيها أن بعض أوصافها أنها شامة الله فى أرضه .. فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين باليمن والهند والصين والسند وغيرهم، فليأخذ الأهبة فى الارتحال إليها ، والقدوم عليها ، ليجد الفعال من المقال أكبر، ويرى إحسانًا يقابل فى الوفاء بهذه العهود بالأكثر ، ويحل منها فى بلده طيبة ، فى سلامة فى النفس والمال ، وسعادة تمول الآمال ، ولهم منا كل ما يؤثرونه... ».

ومن جهة أخرى فقد اهتمت حكومة الصين بالتجارة اهتمامًا كبيراً فعملت على تنشيط أعمالها التجارية بإرسال وفود إلى الخارج من قبل الإمبراطور الصينى يحملون معهم الخطابات المختومة بخاتم الإمبراطور ، ومقدار من الذهب والفضة لشراء البضائع وللدعاية بين التجار الأجانب بسواحل بحر الجنوب وترغيبهم فى زيارة الصين (٣٧).

أما عن علاقاتها التجارية مع مصر، فقد انتظمت وتطورت ولعب تجار الكارم دوراً مهمًا فى العلاقات الدولية السياسية إلى جانب التجارية (٣٨)، حيث كانت مصر فى عصر دولة سلاطين المماليك ترسل سفراء من تجار الكارم إلى الصين ، فكانوا يقابلون بحفاوة بالغة وكرم كبير من ذلك أن السلطان برسباى أرسل سفارة إلى الصين فى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م مكونة من بعض تجار الكارم ، كان الهدف الرئيسى منها تقوية أواصر الصداقة بين الدولتين المملوكية فى مصر والمغولية فى الصين، وكان هؤلاء التجار محملين بالهدايا من قبل السلطان المملوكى للإمبراطور الصينى وأسرته، وعند عودتهم كانوا يحملون الكثير من الهدايا لأمراء وأميرات أسرة السلطان المملوكى من قبل الإمبراطور الصينى (٣٩).

ومما يدل على التواصل الحضارى والتجارى بين مصر وبلاد الصين، ما ذكره ابن بطوطة[٤٠] عند زيارته لمدينة الخنسا فى القرن ٨هـ / ١٤ م من استقرار بعض التجار المصريين هناك فيقول: «وعند وصولنا إليها خرج إلينا قاضيها فخر الدين وشيخ الإسلام بها وأولاد عثمان بن عفان المصرى ، هم كبراء المسلمين، ونزلنا منها بدار أولاد عثمان بن عصمان المصرى، وكان أحد التجار الكبار[٤١] استحسن هذه المدينة فاستوطنها وعرفت بالنسبة إليه وأورث عقبه- أى ذريته أو أبنائه- بها الجاه والحرمه . وهم على ما كان عليه أبوهم من الإيثار على الفقراء، والإعانة للمحتاجين ، ولهم زاوية تعرف بالعثمانية حسنة العمارة، لها أوقاف كثيرة ، وبها طائفة من الصوفية . وبنى عثمان المذكور المسجد الجامع[٤٢] بهذه المدينة، ووقف عليه وعلى الزاوية أوقافًا عظيمة ، وعدد المسلمين بهذه المدينة كثير».

ويتجلى التواصل الحضارى والتجارى واضحًا بين مصر وبلاد الصين فيما ذكره الخزرجى فى أحداث سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، عند وصول أحد تجار الكارم من الصين إلى اليمن، وكان معه الكثير من السلع من أهمها الحرير والبهار وجملة مستكثرة من الفخار الصينى، وطلب من صاحب اليمن السماح له بمواصلة رحلته إلى مصر[٤٣].

وخير دليل على عمق المعاملات التجارية بين دولتى سلاطين المماليك فى مصر وأباطرة المغول فى الصين ، هو أن بعثة هيئة الآثار المصرية عثرت فى حفائرها بمدينة قوص فى موسم سنة ١٩٦٦-١٩٦٧م على جرة فخارية أو قدر من الفخار الصينى يحتفظ به الآن متحف جاير أندرسون بالقاهرة[٤٤] «بيت الكريدلية» (لوحة ١) .

وهذا النوع من الفخار زاد انتشاره فى العصر المملوكى نتيجة للنشاط البحرى التجارى بين الدولتين ، واشتهرت بصناعته بلاد الصين، ويشهد على ذلك ابن بطوطة[٤٥] الذى زار هذه البلاد فى القرن ٨هـ / ١٤م، ولمس تفوق بلاد الصين فى صناعة الفخار الصينى ، فيقول : «وأما الفخار الصينى فلايصنع منه إلا بمدنية الزيتون وبصين كلان، وهو من تراب جبال هنالك تقد فيه النار كالفحم ، ويضيفون إليه حجارة من عندهم ويوقدون النار عليها ثلاثة أيام، ثم يصبون عليها الماء فيعود الجميع ترابًا ، ثم يخمرونه ، فالجيد منه، خمر شهراً كاملاً . ومن التراب يصنعون أواني الفخار الصينى وهو هنالك بقيمة الفخار ببلادنا أو أرخص ثمنًا ، ويحمل إلى سائر الأقاليم، وهو أبدع أنواع الفخار» . ويستطرد ابن بطوطة[٤٦] ذاكراً أكبر مدنها، وأهم أسواقها لبيع الفخار الصينى وهى مدينة صين كلان- صين الصين- وأيضًا مدينة الزيتون ومن هذه المدينة يحمل إلى سائر بلاد الصين وإلى الهند واليمن [٤٧]. »

وهذا القدر الفخارى أو تلك الجرة الفخارية التى عُثر عليها بحفائر قوص ، ترجع أهميتها فى الزخرفة الكتابية والنقوش الخطية التى نفذت بأسلوب الحز تحت الطلاء العلوى من البدن الكروى وقرب فوهتها العليا. وقوام هذه الزخرفة وتلك النقوش كتابات باللغة الصينية القديمة من مقطعين هما "JI- Shun" بمعنى احترام المواثيق ، ومراعاة العهود (شكل ٢) ، ودلالة هذه العبارة، أن التجار الصينيين على العهد والميثاق فى مراعاة الأمانة والمتانة، مع الاتقان فى صنعهم كما هو معروف عنهم، كذلك إشارة أو علامة على متابعة السلطات للسلع التجارية لمنع الغش ومحاربته .

ومما هو جدير بالذكر أنه عندما كثرت التيارات الفنية والأساليب الصناعية التى وردت إلى مصر إبان العصر المملوكى نتيجة عوامل كثيرة، منها اقتصادى لتجمع منتجات الشرق الأقصى التى أصبحت تنتهى فى مصر ، بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية والفنية، لوفود أجناس مختلفة ذات حضارات وعادات وتقاليد متباينة عن حضارة الشرق، لذا صار على الفنان أن يسجل هويته ولغته على عمله (٤٨).

ومن ثم فلا غرو فى معنى هذا الختم أو تفسير تلك الكلمات ، إذا ما عرفنا كما ذكر آنفًا من بدر الدين حى الصينى(٤٩)، أن حكومة الصين كانت تهتم عظيم الاهتمام بالتجارة وتنشيط الأعمال التجارية مع المسلمين عامة ودولة المماليك خاصة، حتى أن امبراطور الصين كان يبعث مع وفوده إلى الخارج خطابات مختومة بخاتم الإمبراطور ومقدار كبير من الذهب والفضة، كدعاية لترغيب التجار الأجانب بزيارة الصين، ووعدهم برخصة خاصة ببضائعهم .

وكما جلب التجار المسلمون فى العصر المملوكى أبدع التحف الفخارية من البلاد الصينية، فقد استوردوا أيضًا أجود أنواع الخزف الصينى منها، وهو ما عرف باسم «السيلادون(٥٠) ويتميز بأسلوب صناعى وزخرفى اشتهرت بصناعته الصين. ومما يؤكد مدى التواصل الحضارى وعمق النشاط التجارى بين أسرة قلاوون المملوكية فى مصر ، وأسرتى سونج - من مغول- الصين، هو ما عثر عليه أيضًا فى حفائر قوص من تحفتين خزفيتين من صنع الصين من نوع خزف السليلادون يحتفظ بها فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، التحفة الأولى عبارة عن صحن(٥١) من خزف السيلادون الصينى ذى لون أخضر نافض ، له حافة خارجية مسطحة، ويتوسط قاع الصحن من الداخل ، زخرفة نباتية بأسلوب الحز على هيئة مجموعة من الزهور فى باقة واحدة (لوحة٢) .

أما التحفة الثانية فهى عبارة عن إناء على هيئة مزهرية(٥٢) من خزف السيلادون الصينى ذى لون أخضر نافض ، له فوهة متسعة، وبدن شبه كروى به تضليعات بارزة . وهذا البدن يستدق إلى أسفل حيث القاعدة ، والإناء خلو من الزخرفة اللهم إلا التضليعات (لوحة ٣) .

ولا غرو أن يكون بداية ظهور الخزف الصينى فى القرنين ٨-٩هـ / ١٤-١٥ م من بين الهدايا التى يرسلها سلاطين مصر إلى ملوك أوربا ، ومن ذلك الحين كانت أسواق القاهرة تتزود دائمًا بالخزف الصينى(٥٣).

وبالإضافة إلى التحف التطبيقية السابقة الذكر التى عثر عليها بحفائر قوص، والتى تدل على الترابط التجارى مدعمًا بالعهود والمواثيق ، فإن متحف الفن الإسلامى بالقاهرة يحتفظ أيضًا بمجموعة من القطع النسيجية الحريرية تؤكد عمق العلاقات ومتانة السفارات بين أباطرة المغول فى الصين وسلاطين المماليك فى مصر، وهذه القطع من صنع الصين باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، مهداة من إمبراطور الصين إلى سلطان مصر، وعليها كتابات صينية معناها «سعادة مكررة» ، «طول العمر» وكان يعتقد فى أول الأمر أنها كتابات كوفية ولكن ثبت بالدليل أنها كتابات صينية قديمة (٥٤).

* * *

وخلاصة القول أن العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الصين ازدهرت ازدهاراً كبيراً ، وكان أوج ازدهارها فى العصر المملوكى وخاصة فى عهدى قلاوون وبرسباى والعصر المغولى وخاصة فى عهد أسرتى سونج ، ومنج .

ويكفى أن العرب المسلمين فى القرن ٧هـ / ١٣م تعلموا من التجار الصينيين طريقة استعمال البوصلة البحرية (إبرة المغناطيس) فى الملاحة، مما كان له أثره الواضح فى زيادة النشاط التجارى البحرى زيادة كبيرة بين البلدين، وترتب عليه أيضًا زيادة الروابط السياسية ونمو العلاقات الدبلوماسية .

الهوامش

١ - محمد تواضع، الصين والإسلام، ص٥ .

- دائرة المعارف الإسلامية ، مج١٤، ص٤٥٩ .

- Encyclopaedia of Islam rol . Leiden 1986,1, p. 839 .

٢- زكى محمد حسن، الصين وفنون الإسلام القاهرة، ١٩٤١م ص٩ .

٣- يقصد باسم «هاى- سى» غرب البحر أى البحر الأحمر، والنهر يخرج منه هو نهر النيل، والبحر العظيم هو البحر المتوسط .

- بدر الدين حى الصينى ، العلاقات بين العرب والصين ، مكتبة النهضة المصرية، ط١ ، ١٩٥٠م، ص١٣-١٤ .

٤- محمد محمود زيتون ، الصين والعرب عبر التاريخ ، القاهرة ، ١٩٦٤م، ص١٥ .

٥- سيدة اسماعيل كاشف ، علاقة الصين بديار الإسلام، مجلة كلية الآثار، ١٩٧٦م، ص٣٠ .

٦- بدر الدين حى الصينى، المرجع السابق ، ص٤٥ ، ٢٣٩ .

٧- سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى دار النهضة العربية ، ١٩٩٤ م، ص٥٤٢ .

٨- القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ج٣، ص٤٦٨ .

٩- محمد عبد الغنى الأشقر، تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٢٩٠-٢٩١ .

١٠- سعيد عاشور ، مصر فى العصور الوسطى، ص٥٤١ .

- راشد البراوى، فى الاقتصاد الإسلامى دار الحرية، ١٩٨٦م، ص١٣٠-١٣١ .

١١- هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى جـ٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م، ص٣٧٨ .

١٢- القلقشندى، صبح الأعشى ، جـ٣، ص٤٦٤ .

- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م جـ١ ، ص١٥٥ .

- محمد بركات البيلى، بداية الكارم المؤرخ المصرى، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ١٣ ، ١٩٩٤م، ص١٠٦ .

١٣- محمد عبد الغنى الأشقر، المرجع السابق ، ص٤٣ .

١٤- لقد اختلفت الآراء وتضاربت الأقوال فى معنى كلمة الكارم ونشأتهم وبداية ظهورهم وأصل وجودهم، وللآن لم يحسم النقاش بعد حول كل هذه التساؤلات .

وقد كان أول ذكر للكارمية فى متون الكتب عندما ذكرهم المقريزى فيقول «إن الكارمية جاءوا إلى مصر سنة ١١٨١م أى سنة ٥٧٧هـ وأنهم دفعوا مكوسًا عن عدة سنوات قادمة » وهذا التاريخ يثبت أنهم جاءوا فى عهد صلاح الدين الأيوبى.

- المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١ ، ص٧٢-٧٣ .

- القلقشندى، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٤٦٤ .

- صبحى لبيب، التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مايو ١٩٥٢، ص٥-١٠ .

- King , Historical Dictionary of Egypt, Cairo, 1984 , p. 384

- الشاطر بوصيلى ، الكارمية ، المجلة التاريخية المصرية، العدد ١٣ ، ١٩٦٧ ، ص٢١٧-٢٢١ .

- جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق د. عطية القوصى ، ص٤٨٥، ص٤٩٤ .

- سعيد عاشور، العصر المماليكى فى مصر والشام مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٩٤م ص٣٠١ .

- محمد عبد الغنى الأشقر ، تجار التوابل فى مصر، ص٢٤-٣٢ .

- محمد بركات البيلى ، بداية الكارم، ص٨٩-٩٨ ، ص١٠٣ -١٠٥ .

١٥- المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ص٨٩٩ ، هامش (١) .

١٦- صبحى لبيب ، التجارة الكارمية ، ص٦ .

١٧- جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى، ص٤٨٤ ، ص٤٩٥ .

١٨- بدر الدين حى الصينى ، العلاقات بين العرب والصين، ص٣٠٨ .

١٩- شوقى عبد القوى عثمان، تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية عالم المعرفة ، الكويت، ١٩٩٠م، ص٢٦٩-٢٧٠ .

٢٠- قوص ، بالضم ثم السكون، وصاد مهملة ، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يومًا، وبينها وبين قفط فرسخ وهى شرقى النيل ، يقال أن كلمة قوص قبطية معناها الدفن ، وسميت كذلك لتخصص إناس من أهلها فى دفن ملوك الفراعنة بعد تحنيطهم، واسمها القبطى Qous، ومنه اسمها العربى ويقال لها قوص بربير.

- محمد رمزى ، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية، ق٢ ج٤ ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٤ م، ص١٨٧ .

٢١- سعيد عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام، ص٣٠١ .

- نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص١٤٣ .

٢٢- جواتياين ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص٤٨٤ .

٢٣- نعيم زكى فهمى ، المرجع السابق ، ص١٤٢-١٤٣ .

٢٤- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية ، جـ١ ، ص١٦٥ .

٢٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار / مكتبة مدبولى، ١٩٩٨م، ج١ ، ص٥٦٧ .

٢٦- على إبراهيم حسن، مصر فى العصور الوسطى، ص٣٥٩ .

٢٧- القلقشندى ، صبح الأعشى، ج٣ ، ص٥٢٠-٥٢٤ .

- سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية، ص١١٥ .

- محمد خليل أحمد هميمى، إقليم قوص من الفتح العربى حتى نهاية عصر المماليك، مخطوط رسالة ماجستير ، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٩٢م، ص١٣٧ .

٢٨- لمزيد من التفاصيل راجع:

عائشة التهامى، دور قوص كعاصمة إسلامية لصعيد مصر فى العصور الوسطى، المؤتمر العالمى لجامعة الأزهر بمناسبة مرور أربعة عشر قرنًا على دخول الإسلام مصر، جمادى الآخرة ١٤٢١هـ/ سبتمبر ٢٠٠٠، ص٣٣١-٣٤٠ .

٢٩- جان كيلود جارسان ، قوص مركز إسلامى لصعيد مصر فى القرون الوسطى ، ١٩٩٤م، ص٣٥٥-٣٧٦ .

٣٠- The Encyclopaedia of Islam, vol . V. p.

- محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩، ص٩٨ .

٣١- لم يبق بقوص غير وكالتين هما:

وكالة عوده وهى تقع بواجهة المسجد العمرى بقوص ومسجلة فى عداد الآثار الإسلامية تحت رقم ١٣٥ .

ووكالة محروس وهى تقع بحارة البومة من شارع القيصرية وكلا الوكالتين جددتا فى العصر العثمانى، ووجودهما يدل دلالة واضحة على الرواج التجارى لهذه المدينة.

٣٢- صبحى لبيب، التجارة الكارمية ، ص١٩ .

٣٣- نعيم زكى فهمى، طرق التجارة، ص٢٩١ .

٣٤- المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ص١٧٥، ٢٠٧ ، ٢٠٩ .

- عطية القوصى ، من تاريخ بلاد النوبة ، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، القاهرة، ١٩٨١، ص١١٦-١٢٥ .

٣٥- صبحى لبيب، التجارة الكارمية ، ص٣٨ .

٣٦- القلقشندى، صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٣٤٠-٣٤٢ .

٣٧- بدر الدين حى الصينى، العلاقات بين العرب والصين، ص١٣٤ .

- شوقى عبد القوى عثمان ، تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية، ص٢٥٩ .

٣٨- محمد عبد الغنى الأشقر ، تجارة التوابل فى مصر فى العصر المملوكى، ص٣٥٦ .

٣٩- بدر الدين حى الصينى، العلاقات بين العرب والصين، ص٢٤٠ .

٤٠- الرحلة، ص٦٣٨-٦٣٩ .

٤١- ويذكر ابن حجر عن مكانة التاجر المصرى الكارمى بالنسبة للتاجر الصينى فيقول:

«إن التاجر الكارمى فى مصر يعادل أضخم تجار الصين مالاً وثروة من حيث المكانة المالية والتجارية».

- الدرر الكامنة ، جـ١ ، ص٢٠٤ .

- أما ابن بطوطة فيذكر أن التاجر الصينى هو:

«وترى التاجر الكبير منهم الذى لاتحصى أمواله كثرة، وعادتهم أن يسبك التاجر ما يكون عنده من الذهب والفضة قطعًا تكون القطعة منها من قنطار فما فوقه وما دونه ، ويجعل ذلك على باب داره ... ومن كان له خمس عشرة قطعة سموه الستى وهو بمعنى الكارمى بمصر».

- الرحلة ، ص٦٢٨-٦٢٩ .

٤٢- وقد بلغ عدد المساجد الآن ببلاد الصين نحو ٢٣ ألف مسجد، منها أكثر من ٥٥ فى العاصمة بكين، وتعد هذه آخر إحصائية ذكرها رئيس تحرير جريدة الأهرام عند زيارته لدولة الصين فى أواخر القرن العشرين.

- إبراهيم نافع ، الصين معجزة نهاية القرن العشرين ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص١٦٦ .

٤٣- العقود اللؤلؤية ، جـ١ ، ص٣٥٠ .

٤٤- رقم السجل : ٣٧٩ ارتفاعها : ٥١,٠٠ سم قطر الفوهة : ١١,٠٠سم

٤٥- الرحلة، ص٦٣٠ .

٤٦- الرحلة، ص٦٣٣-٦٣٤ .

٤٧- بدر الدين حى الصينى: العلاقات بين العرب والصين، ص١٣١ .

٤٨- سعاد ماهر ، كتاب الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص٥٣-٥٤ .

٤٩- المرجع السابق ، ص١٣٤ .

٥٠- السيلادون، نوع من الطينة الطبيعية توجد فى الصين ذات خواص طبيعية ، تعطى لونًا أخضراً نافضًا إذا حرقت فى درجة حرارة معينة، كما أنها تعطى بريقًا خاصًا فهى ليست فى حاجة إلى مادة الطلاء الزجاجى الشفاف.

- ديماند، الفنون الإسلامية، ص٢١٨ .

- سعاد ماهر ، المرجع السابق، ص٥٥ .

- Hobson, The Art of the Chinese pottery , pp. 7-19 .

٥١- رقم السجل : ٢٣٩٧٠ قطر الصحن : ٦٩,٠٠سم ارتفاعه : ٣,٨سم

٥٢- رقم السجل : ٢٣٩٧١ قطرها : ١٣,٠٠سم ارتفاعها : ٦٢,٧سم

٥٣- هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، جـ٤ ، ص١٩٠ .

٥٤- بدر الدين حى الصينى ، العلاقات بين العرب والصين، ص٢٣٩ .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية

- ابن بطوطة : الرحلة ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ابن جبير : الرحلة ، دار صادر، بيروت ، بدون تاريخ .
- ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، الهند، ١٩٢٩م.
- الأدفوى : الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة، ١٩٦٦م.
- الخزرجى : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد على الأكوع، جزءان، ١٩٨٣م.
- القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، القاهرة، الجزء الثالث، ١٤١٣هـ .
- المقريزى: السلوك فى معرفة دول الملوك ج١ نشر مصطفى زيادة، القاهرة ، ١٩٣٨م.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج٢ بولاق، ١٢٧٠هـ .

ثانيًا : المراجع العربية :

- إبراهيم نافع : الصين معجزة نهاية القرن العشرين ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- آمال العمرى (دكتور) : أضواء على المنشآت التجارية فى مصر المملوكية، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.
- السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى (دكتور) : تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام، ج١ ، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م.
- الشاطر بصيلى: الكارمية ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ١٣، ١٩٦٧م.
- بدر الدين حى الصينى : العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠م.
- جان كيلود جاراسان (دكتور) : قوص مركز إسلامى لصعيد مصر فى القرون الوسطى، ١٩٩٤م.
- جواتياين : دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق د. عطية القوصى، دار الثقافة العربية ١٩٦٦م.

- ديماند : الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف ، الطبعة الثالث ، ١٩٨٢م.
- زكى محمد حسن (دكتور) : الصين وفنون الإسلام ، القاهرة، ١٩٤١م.
- راشد البراوى (دكتور) : فى الاقتصادى الإسلامى، دار الحرية، ١٩٨٦م.
- سعاد ماهر (دكتور) البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، القاهرة ١٩٦٧ . كتاب الفنون الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م.
- سعيد عاشور (دكتور) : العصر المماليكى فى مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٣، ١٩٩٤م.

  مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى، دار النهضة العربية، ١٩٩٤م.
- سيدة إسماعيل كاشف (دكتور) : علاقة الصين بديار الإسلام، مجلة كلية الآثار، ١٩٧٦م.
- شوقى عبد القوى عثمان (دكتور) : تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية، .عالم المعرفة، ١٩٩٠م.
- صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مايو، ١٩٥٢م.
- عائشة التهامى (دكتور) دور قوص كعاصمة إسلامية لصعيد مصر فى العصور الوسطى، المؤتمر العالمى لجامعة الأزهر بمناسبة مرور أربعة عشر قرنًا على دخول الإسلام مصر، ٢٠٠٠م.
- عطية القوصى (دكتور) :

  من تاريخ بلاد النوبة، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، القاهرة، ١٩٨١م.

  أضواء جديدة على تجارة الكارم والكارمية ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٢٢، ١٩٧٥م.
- فاروق عثمان أباظه (دكتور) : أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، دار المعارف ، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

- محمد بركات البيلى (دكتور) : بداية الكارم ومعناه فى العصر الفاطمى، المؤرخ المصرى كلية الآداب- جامعة القاهرة، العدد ١٣ ، ١٩٩٤م.
- محمد خليل أحمد هميمى: إقليم قوص من الفتح العربى حتى نهاية عصر المماليك، مخطوط رسالة ماجستير، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٩٢م.
- محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، ق٢ ج٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
- محمد عبد الغنى الأشقر (دكتور) : تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.
- محمد محمود زيتون : الصين والعرب عبر التاريخ ، القاهرة، ١٩٦٤ .
- نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٣م.

ثالثا : المراجع الأجنبية :

- Ashtor : The Karimi mershants, JRAS/ 1956 .
- Hobson : The Art of the Chinese potter, London, 1923 .
- The Encyclopaedia of Islam, vol . V, Leiden, 1986 .
- King, J.W: Historical Dictionary of Egypt, American University, Cairo, 1989 .

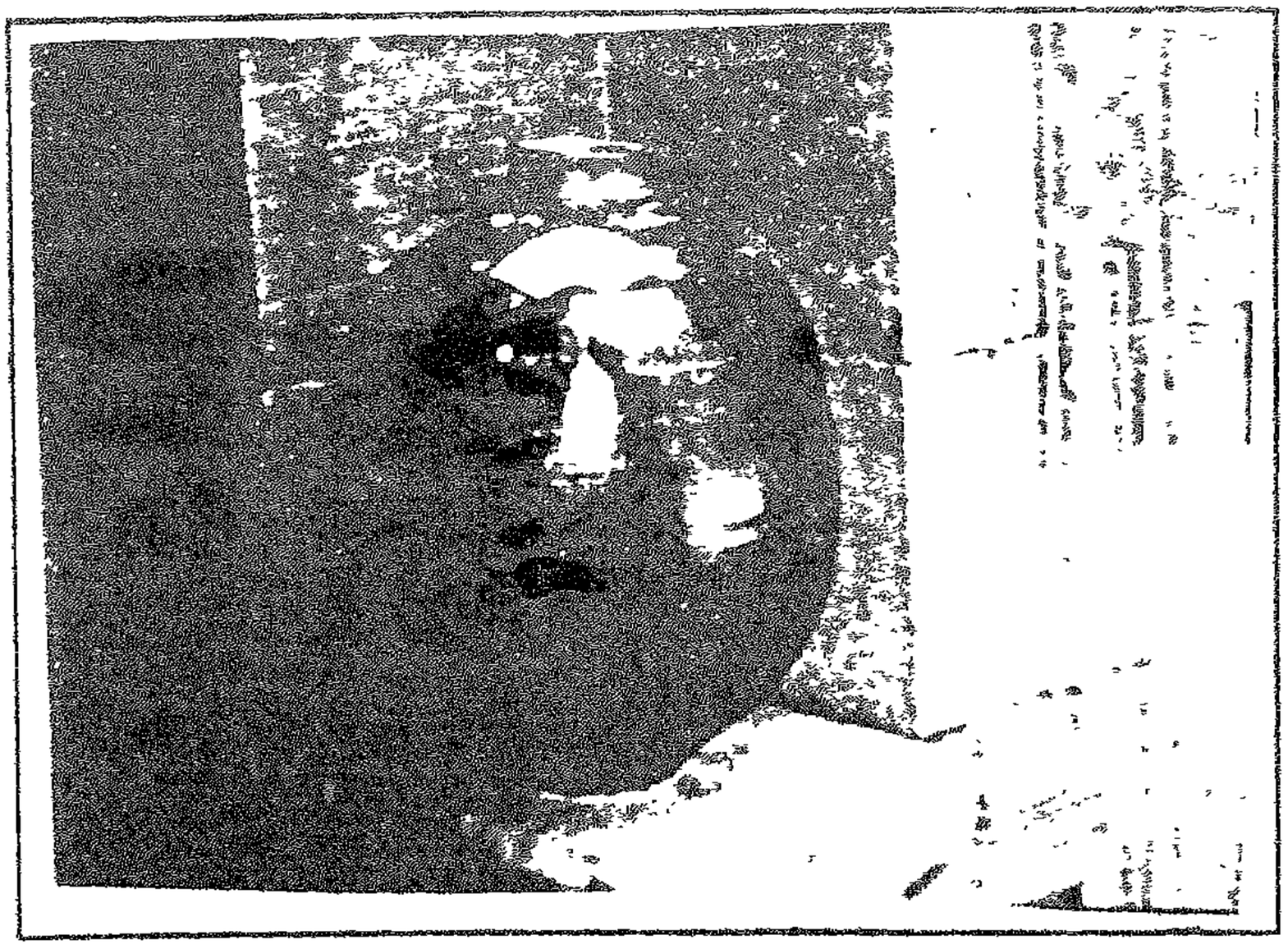

(لوحة١) جَرة فخارية عليها كتابات أثرية بالخط الصينى عُثر عليها بحفائر مدينة قوص

- محفوظة بمتحف جاير أندرسون بالقاهرة

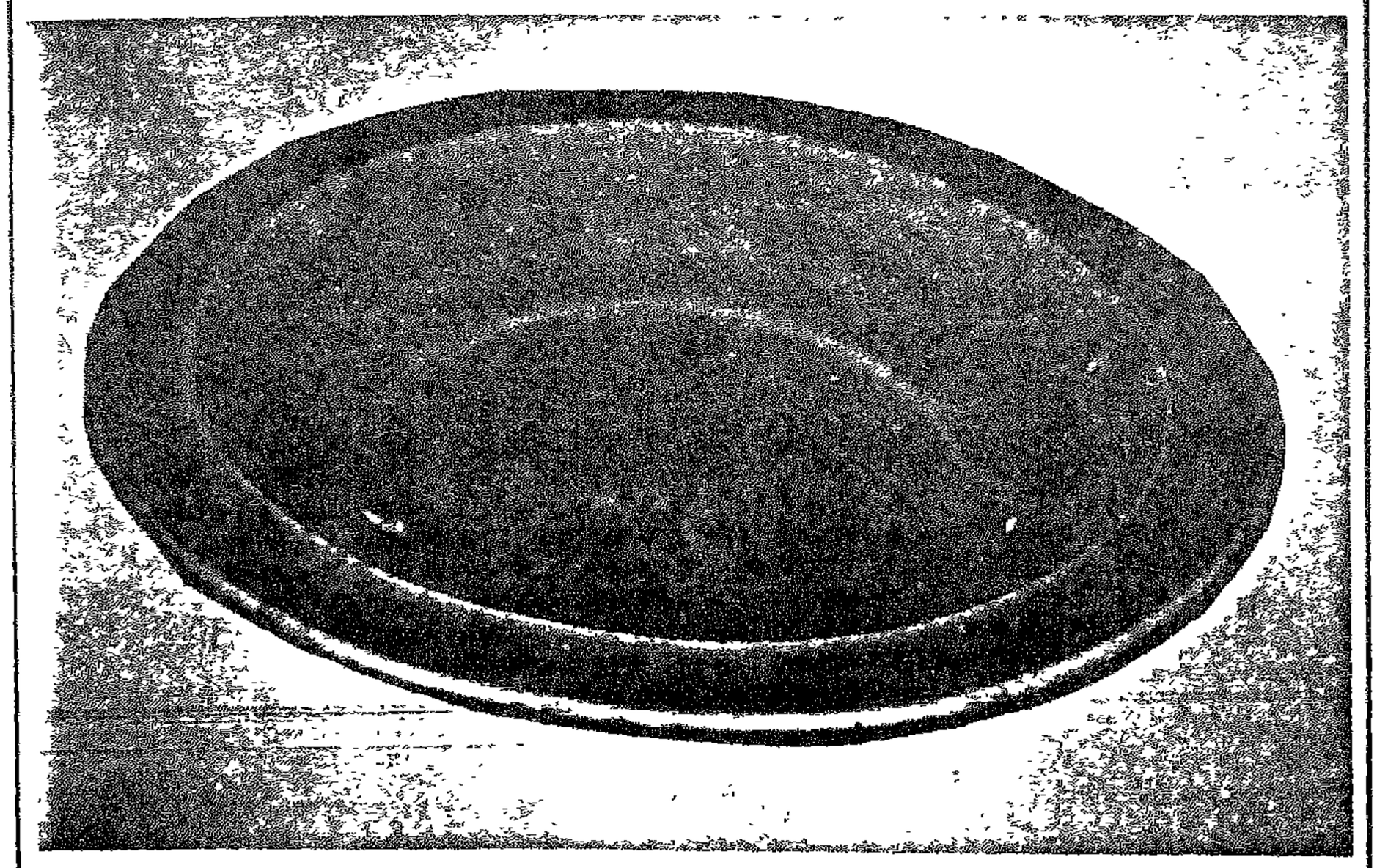

(لوحة٢) صحن من خزف السيلادون الصينى عُثر عليه بحفائر مدينة قوص

- محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة-

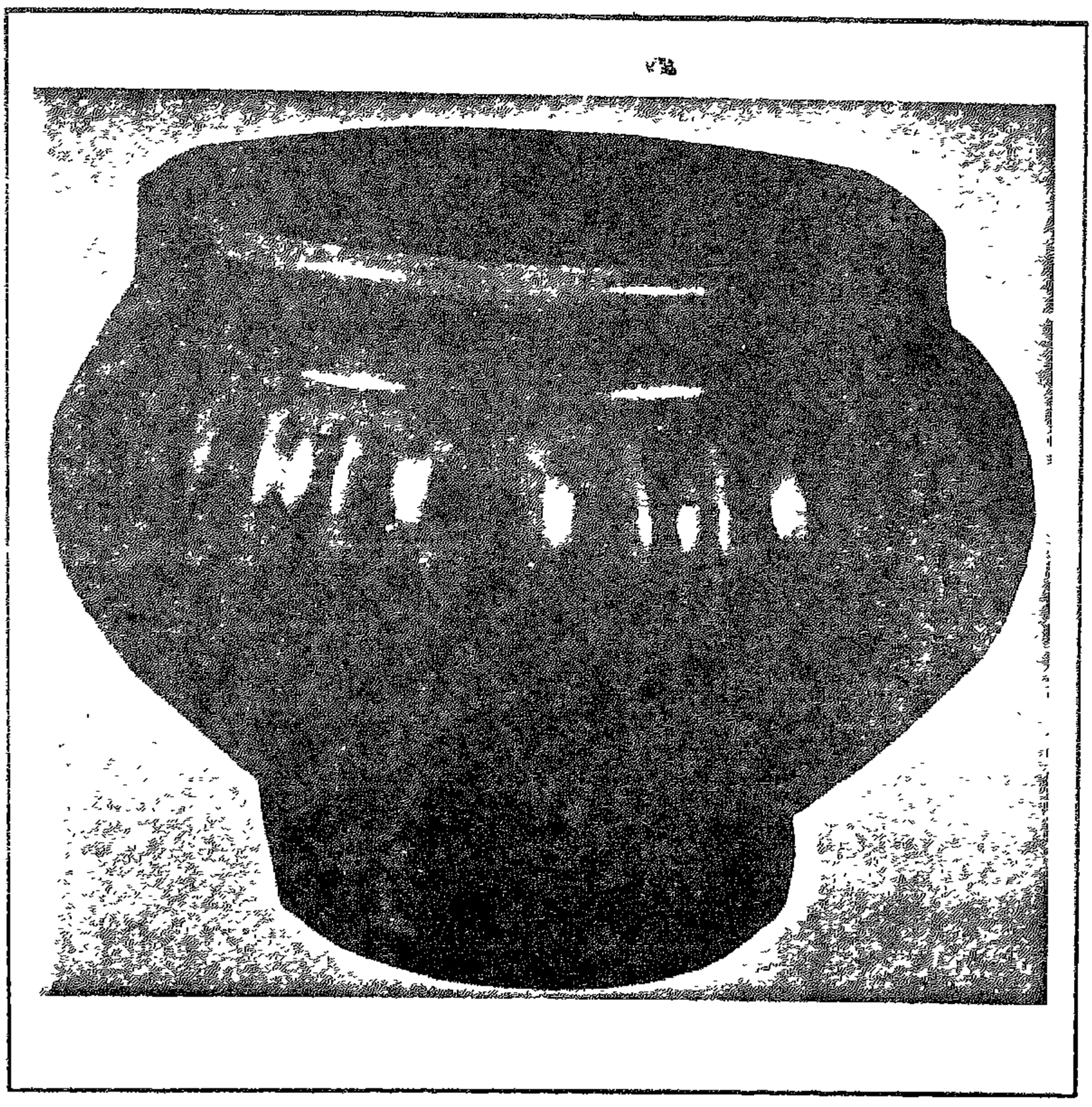

(لوحة ٣) مزهرية من خزف السيلادون الصينى عُثر عليها بحفائر مدينة قوص

- محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة-

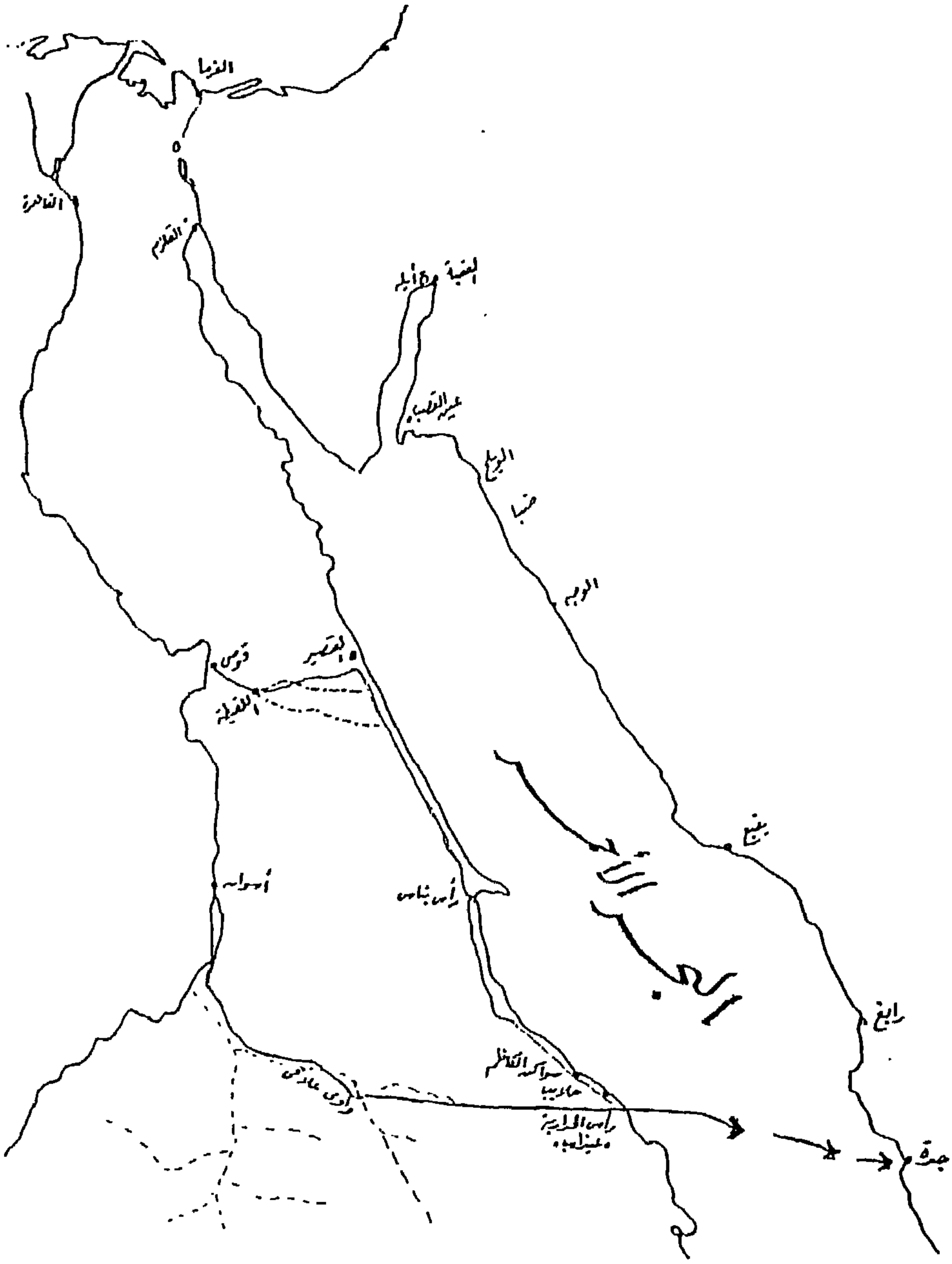

شكل (١) خريطة تبين طرق قوافل الحج والتجارة باقليم قوص فى العصور الوسطى

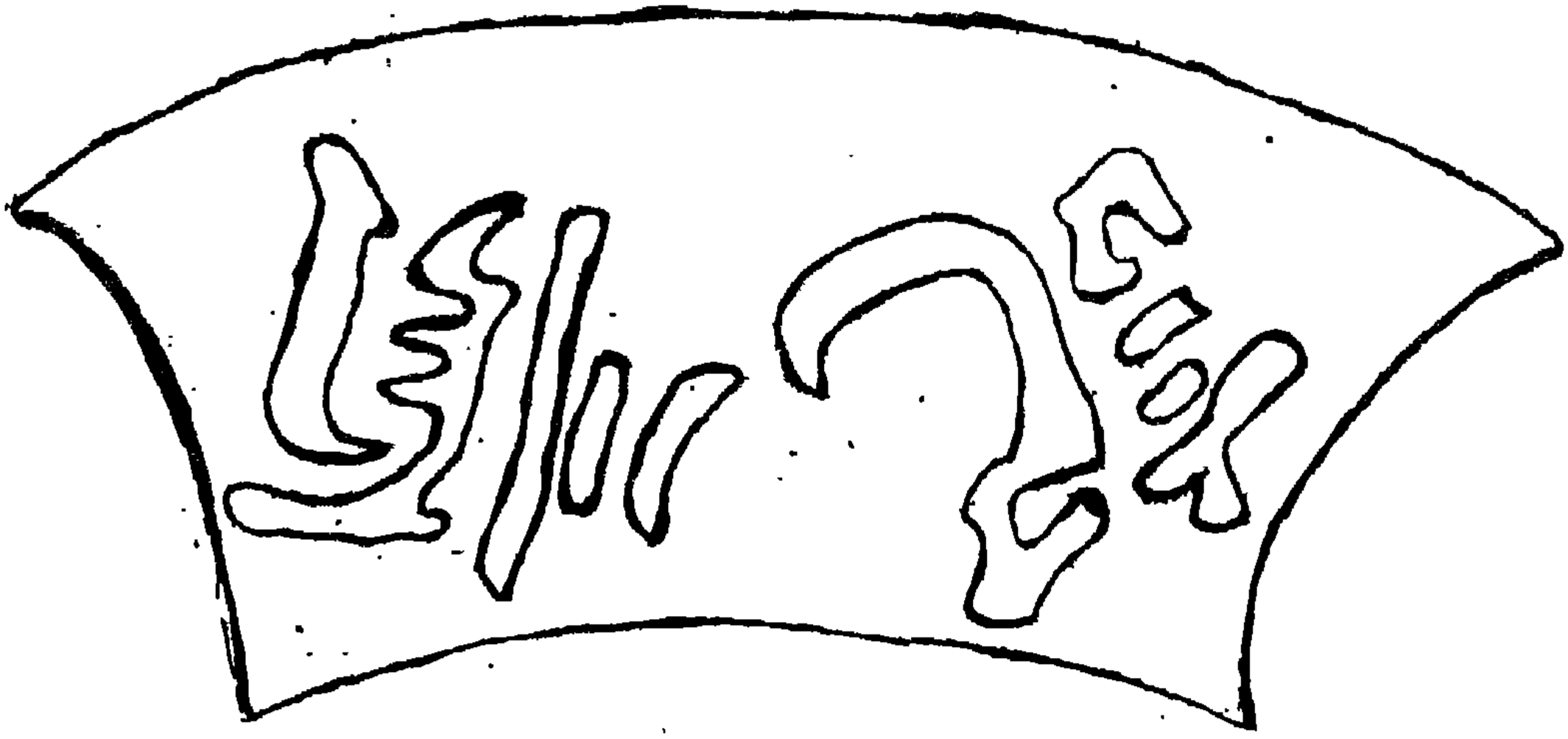

شكل (٣) الكتابة الصينية أعلى البدن بالجرة الفخارية التى عُثر عليها بحفائر قوص

- محفوظة بمتحف جاير أندرسون بالقاهرة-